logo
Image not found or type unknown

Title	قضية الحوار عند الأب چوزچ قنواتي / إعداد د. ناندية عبد الغني البرموي- مدرس الفلسفة بكلية الآداب - جامعة المنوفية
Contained in	MIDÉO : Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales du Caire / Direction : Georges Shehata Anawati, (puis) Régis Morelon, (puis) Emilio Platti, (puis) Emmanuel Pisani, (puis) Dennis Halft
Volume	30 (2014)
pages	1-35
URL	https://ideo.diamondrda.org/manifestation/211469

AlKindi 4, Ideo Library - Cairo
Image not found or type unknown
This content downloaded from 3.17.77.192 on Fri, 19 Apr 2024 22:52:40 CEST

الآخرين، ولعله كان يعتقد من ذلك أن الحوار بين المسيحيين والمسلمين، إنما هو يشتمل في ذاته على المستويين الآخرين، وهما: الحوار الحياتي بين الأفراد، أي بين المسلمين والمسيحيين،وكذا الحوار الحضاري بين الحضارات أي بين الحضارة العربية والحضارة الغربية أو بالأحرى بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، ولعل هذا ما يفسر تركيزه الشديد على مستوى الحوار بين الأديان دون غيره من المستويات الأخرى؛ فالحوار الحقيقي لا يقوم بين حضارات ولا ديانات ولكنه يقوم بين أفراد وجماعات.

2- ينتمي الأب قنواتي إلى طائفة المفكرين الواقعيين ، لا المثاليين ، ودليلنا على ذلك أن نظرته إلى القضايا والمشكلات التي بحثها وكان أهمها بالطبع قضية الحوار كانت نظرة واقعية، تعيش الموقف وتعي ملابساته ومنهجيته؛ إذ كانت وسائله واقتراحاته لأجل تدعيم سبل الحوار في المستقبل واقعية تمس الواقع، ويقبلها العقل ويمكن تحقيقها، ولم تكن مثالية أو خيالية بحيث لا نستطيع تطبيقها على أرض الواقع.

3- أرسى الأب قنواتي قواعد الحوار الهادف والمنشود؛ فجاءت وسائله لذلك فعاله وملموسه، مدركًا لما حوله وواعيًا بذاته وبالآخر، وفاهماً لنفسه وللآخر، ومحترمًا لنفسه أيضًا وللآخر؛ فمست كلماته القلوب، وعباراته العقول، وجاء حواره إيجابيًا وفعالاً بعيدًا عن الشعارات البراقة والأقاويل الكاذبة والمهاترات المعهودة؛ بحيث يمكن القول بأنه تخطى حدود الحوار السلبي العقيم القائم على الشعارات والنظريات والمهاترات السلبية وشرع في السير بخطوات جادة نحو الحوار الإيجابي القائم على الممارسات العملية والنواحي التطبيقية ؛ فجاء حواره إيجابيًا وفعالاً، وهذا ما اتضح في جهوده في سبيل تدعيم أواصر التواصل والاتحاد بين الشرق والغرب، بين القديم والغرب، بين المسيحيين والمسلمين.

4- اتضحت سمات المرونة الفكرية ومعالم السعة العقلية في شخصية الأب قنواتي؛ فكان أبعد ما يكون عن المصادرة على آراء الآخرين، أو نفيها أو دحضها؛ فكان يقبل الرأي والرأي الآخر، مؤمنًا ومبشرًا وداعيًا لتبادل الآراء والأفكار دون مصادرتها أو رفضها ؛ فاكتملت في أحاديثه ملامح العقلية الرحبة، والشخصية العالمية المنفتحة على الآخر، دون نفيه أو إنكاره أو التقليل من شأنه.

5- على الرغم من تقسيم الأب قنواتي للحوار إلى ثلاثة مستويات، ثم الحديث عنهم والخوض فيهم، إلا أنني أشعر بأنه قد أولى اهتمامًا كبيرًا بالمستوى الأول منه وهو الحوار بين الأديان، وهذا ما يتضح من خلال كتاباته التي أسهب فيها في مستوى الحوار بين الأديان أكثر بكثير مما إذا قورن بالمستويين

المعاصرة في شتى الميادين من آداب وعلوم وفنون بين الغرب — ذات الطابع المسيحي — والشرق — ذات الطابع الإسلامي — لهو خير دليل على وجود حوار حضاري منتج، ومثمر، وفعال، ورجاؤنا أن يساهم كل أعضاء جماعة الإخاء الديني، والتقريب بين المذاهب والأديان — كلٌّ في ديانته — في تحقيق مزيد من التفاهم الديني، والأخلاقي، والثقافي، والاجتماعي، والحضاري.[57]

والله هو ولي التوفيق.

الخاتمة:

ينتمي الأب جورج قنواتي إلى طائفة الكاثوليك الذين أثرو حياة المجتمع العربي والغربي — إن صح التعبير — بمؤلفاتهم وكتاباتهم التي خاضت في شتى مجالات العلم والمعرفة، عاش لخدمة قضية الحوار ، وتبنى حيثياته، مؤمنًا به وداعيًا له، ومحفزًا عليه، بحيث نستطيع القول بأن هذه القضية كانت هي أساس التصور ومنبع الفكر وحجر الزاوية في فكر الأب قنواتي وفي فلسفته كلها.

هذا ويمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث في النقاط التالية:

١- الأب قنواتي يتمتع بشخصية اجتماعية متعددة الأبعاد شرقًا وغربًا، منفتحة على الآخرين، ناهلة من القدامى والمحدثين، مشتغلة بقضايا السابقين ومهمومة بفكر المعاصرين، بحثًا عن بؤر الإلتقاء ونقاط الاشتراك، ونبذًا لقواعد العزلة، وعرى الافتراق؛ فكانت قضية التواصل والانفتاح على الآخر هي شاغله الشاغل وهمه الوحيد، وهدفه المنشود، أو بالأحرى كانت هي قضية حياته إن صح التعبير.

---

57. الأب جورج شحاتة قنواتي: الحوار الأخير، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص 182، 183.

لحسم كل هذه الأمور وضبطها، وكذا المنظمات الإسلامية؛ إذ بذل الكثير من علماء المسلمين ورجال الدين جهدا جهيدا في هذا المجال، فما المانع — إذن — من أن تتضافر جهود كلا الطرفين لأجل تحقيق إسهام فعال في سبيل توثيق عرى السلام في المجتمع، ومراعاة الحقوق الإنسانية بشكل عام بلا تطرف ولا تعصب؟![55]

ثالثًا: على مستوى أعمال البر والفضيلة:- يجب أن يحرص أفراد كلتا الديانتين على تحقيق مراد الله على الأرض، وذلك بالسعي إلى خدمة الفرد على اختلاف ديانته وجنسيته؛ فالإيمان قاسم مشترك يجمع بين المسلم والمسيحي، فما المانع — إذن — من أن تتحد جهود المنظمة الكاثوليكية كاريتاس Caritas مع جهود المنظمات الإسلامية، والجمعيات الخيرية التي أظهرت ميلاً شديدًا، ونزعة قوية نحو التضامن الإنساني لأجل تحقيق مزيد من الإخاء الديني، والتعايش السلمي، والتعاضد الإنساني بين المؤمنين، خصوصًا وأن الكنيسة الكاثوليكية قد أقرت بالفعل صلتها بالإسلام وذلك في كتاب الڤاتيكان، كما أقرت صلتها بالديانات الأخرى،وذلك في الإعلان الصادر بتاريخ 1995/10/28، كما حث المجمع الكاثوليكي على أن نجتهد جميعًا وبإخلاص لخلق نسيج من التفاهم المتبادل لخير البشرية جمعاء.[56]

رابعًا: على المستوى الحضاري والثقافي: — علينا — جميعا — أن نثير حماسة المؤمنين سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين، ونسعى إلى توثيق عرى التضامن والاتحاد بين مفكري وعلماء الديانتين؛ وذلك لتحقيق مزيد من معرفة السر الإلهي في هذا القرن والقرون السابقة، لأن هذا رهين بإمكانيات المستقبل، ولعل التبادل الثقافي السريع، والثورة المعلوماتية

---

55. الأب جورج شحاتة قنواتي: الحوار الأخير، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص 182، 183

56. Georges ANAWATI, «Croisée des chemins», Conférence prononcée le 15 Novembre (Fribourg: éditions universitaires Fribourg, 1986) 27.

عقائده وتقاليده ومبادؤه السمحة مما يحقق الإثراء والعمق المتبادل بين الديانتين[52]، كما يجب العمل على إقامة قواعد تربوية ونظم اجتماعية لإقامة جسور التواصل بين أصحابها، وبخاصة فيما يتعلق بتفسير النصوص الدينية والكتب المقدسة المتعلقة بكل منهما، كما يجب أيضًا أن تكون أوجه الاختلاف والتباين بين كلا الديانتين مفسرة وموضحة بموضوعية تامة وحيادية شديدة دون أدنى ذاتية أو تحزبية، وذلك حتى تنمحي المغالطات وتتلاشى التحديات، وتنتفي التحزبات، وهذا هو مطلب المسيحية والإسلام على السواء في الوقت الحالي.[53]

هذا ويؤكد الأب قنواتي أنه يوقن تمام اليقين من أن الدولة تدرك تمامًا هذه الموضوعية ، وأنها تسعى سعيًا جادًا، وتبذل جهدًا جهيدًا لأجل مساندة ومناصرة الأشخاص القائمين على خدمة هذه القضية والمتبنيين لها، هذا ولقد كتب الأب قنواتي في عام 1990 عن هذه القضية فقال: — «إذا أردت أن أعرض في عبارة موجزة عن مهمتي ووظيفتي الرئيسة؛ فإنني سوف أحصرها في كونها تخدم قضية الحوار في مجتمع يقوم على أساس نزعة إنسانية في المقام الأول؛ تسعى بشكل مباشر إلى تفادي حدوث أي ضرر أو مضار لأي أحد».[54]

ثانيًا: على المستوى الاجتماعي والمدني:- يجب عليهم — أعني المسيحيين والمسلمين — أن يعملوا على تحقيق مبدأ المساواة، وتجسيد مبدأ العدالة، وكفالة الحقوق والواجبات للمواطنين، والعمل سويًا لضمان خيرات الفرد والأسرة؛ وبالتالي المجتمع، وحفظ أواصر الزواج، وتربية الأطفال، وكفالة حقوق العمال وتأمينها، ولقد وضعت الكنيسة ضوابط

52. Georges C. ANAWATI, «*Christianisme et Islam*», Congresso Internazionale di missiologia Evangelizzazione e culture (Roma: Pontificia Università Urbaniana, 1975) 3.

53. Christian W. TROLL, "The Late fr. Georges C. Anawati's concept of Christian-Muslim Relations", dans PÉRENNÈS, *Le Père Georges Chehata Anawati*, 160-161.

54. Georges C. ANAWATI, Yād Nāma: In memoria di Alessandro Bausani, vol. 1 (Roma: Giovanni Bardi Editore, 1991), p. 34.

ثقة كبيرة فينا، وهذا هو ما أريده»[٥٠]، وسُئل أيضا:ـ هل يوجد حوار خارج مصر؟ بمعنى حوار إسلامي مسيحي بصورة صحيحة؟! فأجاب قائلا «الحياة مستمرة»، وهناك حوار قائم بين المسلمين والمسيحيين، وبين العلمانيين وغير العلمانيين.

وعلى الرغم من ذلك فقد قدم لنا الأب قنواتي مجموعة من الاقتراحات والخطوط العريضة التي ينبغي السير عليها لأجل تحقيق مزيد من التقارب بين المسلمين والمسيحيين في سبيل حياة أفضل؛ ويمكن — في رأي الأب قنواتي — أن يتحقق ذلك إذا التزمنا بعدة أمور منها: —

أولاً: على المستوى الإعلامي والبحث العقائدي: — يجب على المسيحيين والمسلمين أن يعمقوا معرفتهم بالله، وبالوحي، وبالكتب المقدسة، وبالتفاسير الخاصة بها، ولعل حرية العقيدة تكفل لهم الأمن والأمان في أن يعلن كلا منهم — بحرية تامة — عما في ضميره وسريرته[٥١]؛ بحيث — إن صح التعبير — لإيجاد نوع من Middle Road يستطيعوا الوصول إلى طريق وسط الاتفاق واللغة المشتركة بينهم حتى تتأصل فيهم قواعد التعاطف وسعة الصدر، وتنمو لديهم حاسة المرونة الفكرية، والسعة العقلية في تعاملهم واحترامهم لبعضهم البعض ؛ فالحوار — في نظر الأب قنواتي — لا سبيل له، ولا مجال لتدعيمه إلا بفض أواصر الانعزال، وفك عرى الانغلاق الفكري، وصفاء القلوب غير المرحبة به، والإبقاء على أواصر المحبة والإخاء والنقاء، والسماحة والشفافية دون سخف أو ادعاءات باطلة أو كاذبة؛ مع ضرورة احترام هوية الآخر والحفاظ عليها، والأخذ في الاعتبار بأن ديانته — أعني ديانة الآخر — مدعمة بمصادر مؤكدة وموثقة بشكل محتوم ومرسوم، وفضلاً عن ذلك فإنه يجب الأخذ في الاعتبار بضرورة السعي الجاد لإبراز صورة الإسلام الفريدة ، وذلك من خلال شرح

---

٥٠. نفس المرجع ، ص 183.

٥١. نفس المرجع ، ص 183.

للخروج من هذه الأزمة هو العمل الدائم والسعي الجاد، وهو الحل الذي استخدمه الغرب في اجتياز أزماته، وهو فتح باب الحوار بكل صوره وألوانه، الأمر الذي يقتضي توفير المناخ العلمي، والفكري، والاجتماعي، لأجل نموه وإرساء قواعده؛ فلابد لنا من مواكبة التقدم واستلهام روح العصر؛ فالثقافات امتزاج واحتواء، مصداقاً لقول جاك مارتيان Jacques Maritain: — «قليل من الماء هنا، وقليل من الماء هناك نستطيع أن نجعل منه نهرًا»؛ وبناء على ذلك فإنه لا يجب أن يكون هناك حجر على فكر أو عقل، حتى ولو خالف فكرنا أو عقلنا؛ فالحوار قائم ومفتوح ومباح ومتاح؛ فالعزلة مستحيلة، والتقوقع مرفوض»[47]، وكان شعار قنواتي دائمًا: (إنني أبحث لأجد روح الحقيقة ؛ تلك التي تكمن في المحافظة على الوسطية دون القطبية)[48] ، ومن ثم فليس لنا من سبيل سوى الحوار ثم الحوار؛ ذلك الذي يمثل غاية أمنيتنا المنشودة، في ظل هذا العالم الذي تحول إلى قرية صغيرة بحكم الثورة المعلوماتية الهائلة، ووسائل التكنولوجيا الحديثة.[49]

أما عن مستقبل الحوار فيقول الأب قنواتي:- «إنني متفاءل ومطمئن على مستقبل الحوار؛ فالمسلمين لديهم عقل، ودينهم دين سليم؛ دين لا يدعو إلى الدمار ولا التخريب، فلا فرق عندي بين مسلم ومسيحي؛ فكلنا مؤمنون، إنني أريد أن يكون المسلم مستنير، وكذا المسيحي؛ فالإنسان ما دام إنسان فهو حر، وبالتالي فهو حر في اختيار ديانته».

وسُئل الأب قنواتي عن مدى إقبال المسلمين على الحوار فقال: «لدى نخبة من المثقفين المسلمين، ومعهم يسير الحوار في خط مستقيم وبلا مشاكل، إنهم يأتونني ويطلبون مني دراسات وتحقيقات بشكل عام، وعندهم

---

47. نفس المرجع، ص ١٨١، ١٨٢.

48. Jean-Jacques PÉRENNÈS, *Georges Anawati (1905-1994)*, Préface par Zeinab Elkhodeiry (Paris: Le Cerf, 2008), 224.

49. الأب جورج شحاتة قنواتي: الحوار الأخير ، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص ١٨٢، ١٨٣

الإنسان إلى نوع من الآلة، بل على العكس، تعتبر هذه الإنسية، أن الإيمان بالله هو الركيزة الأولى لها؛ فبدونه تصبح النظرة إلى الإنسان ناقصة ومبتورة، كما أنها تعتبر أن البحث عن الله وخدمته تعالى لا يتحققان إلا من خلال الاهتمام بالإنسان؛ فليست هناك أية منافسة بين الله وخليقته، ولا بين بذل الجهد المتفاني في خدمة الله والإنسان معا، وانطلاقاً من هذه الرؤية، نجد أن الإنسان بأبعاده الإنسانية، والإلهية متحققة — لا محالة — في هذه الإنسية، وكذا الفردية منها، والجماعية[46]، ولما كانت تلك الإنسية حضارية، وهذا الإنسان كائن حضاري — إذ من المعروف أن الإنسان يواجه حياته ويوجهها بعقله وحريته، ويعبر عما بداخله وعن علاقته بإخوته وبخالقه من خلال القيم والنظم والمبادئ والعلوم والفنون، والعبادات والمعاملات، أي بكل مكونات الحضارة البشرية، ولما كان هذا الإنسان أيضا بحكم طبيعته الإنسانية يتميز بالتغير والتطور، عبر الأمكنة والأزمنة المختلفة؛ فكان من طبيعة الحضارة — بالتالي — أن تكون متغيرة ومختلفة حسب الزمان والمكان وفقا لتغير تلك «الإنسية» أي الإنسان، ولما كان هذا الإنسان لا يصل إلى حقيقته إلا من خلال علاقته بالإنسان الآخر؛ فبالتالي لا تنمو الحضارة البشرية ولا تزدهر إلا من خلال التفاعل والحوار وتبادل وجهات النظر مع الحضارات الأخرى، التي يكون «الإنسان» هو المكون الأساسي لها والعنصر الرئيس فيها، ومن هنا كان يرى الأب قنواتي أن «الإنسان Human» يمثل العنصر الرئيسي في خلق الحوار وإثراءه وتنميته، مؤكدا أن هذا الحوار لا يلغي الشخصية الإنسانية، بل ينميها ويقويها ؛ ولذا فقد حارب الأب قنواتي كل انغلاق ثقافي، واعتبره خيانة للإنسان؛ أو بالأحرى لفكرة «الإنسية» كما يريدها الله، مؤكدا أن عدم الإطلاع على الثقافات الأخرى سوف يؤدي إلى حدوث نوع من الضعف والجمود الفكري عند المفكرين، وهو في هذا يقول: — «اعتقد أن الحل الأمثل

46. الأب جورج شحاتة قنواتي: «الحوار الأخير»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص 181.

ويمكننا أن نكتشف في أعمال الأب قنواتي حوارًا مستمرًا مع هؤلاء المفكرين والفلاسفة المستنيرين الذي مثلوا حوار هذا العقل المؤمن الناضج المتفتح المقترن بنضج الإيمان ومرونته، أمثال ابن سينا وابن رشد في الشرق، والقديس أوغسطين، والقديس توما الأكويني في الغرب على أعلى مستوى، وفي أوسع نطاق؛ فكان لهم الأثر الفعال على الارتقاء بالحضارة الإنسانية جمعاء.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا كيف أن الأب قنواتي قد استطاع — بحكمته المعروفة وبصيرته النافذة — أن يربط بين القديم والجديد ، سابرًا لأغوار قضية الأصالة والمعاصرة ولو بشكل غير مباشر ، داعيًا إلى أن نأخذ من التراث ونرد بما يواكب عصرنا ويتناسب مع احتياجاتنا، دون التقليل أو الإعلاء من شأنه، لأن هذا يتنافى مع الموضوعية والحيادية التي يجب أن يلتزم بها كل باحث مستنير، وكل عاقل مستفيد ، وكل واع موقن بحقائق الأمور وطبيعة الأوضاع في ظل واقعنا الحياتي المعاش.

المبحث الثالث:

اقتراحات الأب قنواتي لمزيد من الحوار (رؤية مستقبلية) أو بالأحرى (مستقبل الحوار في تصور الأب قنواتي): —

عرضنا فيما سبق — لمستويات الحوار عند الأب قنواتي، والآن نعرض لرؤيته المستقبلية للحوار، ومقترحاته لأجل تدعيم سبل هذا الحوار وتوثيق عراه.

وهنا يقدم لنا الأب قنواتي مجموعة من الاقتراحات والمساعي التي ينبغي السير عليها لأجل تحقيق مزيد من التقارب والحوار بين أفراد البشرية جمعاء من أجل حياة أفضل، وهذه الاقتراحات تعتمد — بشكل مباشر — على فكرة الإنسية Humanism، تلك الفكرة التي تضع الإنسان، أي إنسان مهما كانت ديانته وأيًا كانت جنسيته، وثقافته وموروثاته واعتقاداته محور الاهتمام، وتجعل له مكان الصدارة، وهذا لا يعني إقصاء الله إلى هامش الاهتمام، أو تحويل

ولكن وراء هذا الحوار الحضاري عند الأب قنواتي يوجد حوار آخر له أهميته وخطورته؛ بحيث يكون من غير المعقول أن نغفل أو نتغافل عنه ألا وهو «حوار العقل والإيمان»، أو بالأحرى «الحوار بين العقل والإيمان»، مبيناً أن لهذا الحوار أهميته وضرورته؛ فالعقل والإيمان عنصران أساسيان في تكوين الحضارتين المسيحية والإسلامية؛ فإذا كان العقل السليم في الجسم السليم؛ فكذلك الإيمان السليم في العقل السليم؛ إذ لا دين بغير ثقافة، ولا ثقافة بغير دين؛ فالإنسان — عند الأب قنواتي — إذا فقد البعد الإيماني؛ فإنه يتوه ويتخبط في طرقات الشك وعدم اليقين، وكذلك إذا فسد العقل فيه؛ فإنه يجد نفسه غارقاً في بحار الخرافات، وفي مزالق الأساطير والخرافات بلا تمييز ولا إدراك، هاويًا في منحدرات التعصب القبلي، ومغالق الجمود والتقوقع على الذات[44]؛ فلقد دخل الإنسان منذ قرنين في طور جديد من تطور العقل، ألا وهو «العقل النقدي» Critical Mind وقد استطاع هذا العقل أن يخلق لنفسه منهجا جديدا للبحث والمعرفة، أدى به إلى إعادة النظر في كثير من المسلمات القديمة، وفتح له أبوابًا جديدة انطلق منها إلى آفاق واسعة لم تخطر ببال أحد من القدماء، وإزاء هذا التطور الهائل؛ فكان لزامًا على الإيمان أن ينمو ويتسع ليتواصل ويتلاءم مع هذا التطور العقلي بعيدا عن دوائر الظلام وأواصر الجهل،فكما يقول اللاهوتيون المسيحيون: — «إنه — أعني العقل — قبس من الشريعة الإلهية»؛ ومن ثم فهو يستطيع بخضوعه للحكمة الإلهية أن ينظم صلات العدل، وأن يحقق أواصر الود بين مواطنين من أديان مختلفة؛ ويبقى — في النهاية — الإله الواحد الحي منبعًا لا ينضب، ومعينًا لا يجف لخلق إبداعات جديدة؛ بشرط أن يفهم هؤلاء وأولئك حاجات عصرهم، ويستطيعوا أن يجدوا في الواحد المطلق — الذي يعبدونه — ضالتهم المنشودة، والإجابات الحقيقية لكافة المشكلات التي تواجههم.[45]

---

44. الأب جوزيبي سكاتولين: «رجل الحوار بين الشرق والغرب، وبين العقل والإيمان»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص١٥٠.

45. نفس المرجع ، ص ١٥١.

وفي أيامنا الحالية نجد أن الحضارة الغربية قامت بتحريك العالم العربي الإسلامي،وكان لها دور بارز في تقدمه وتحضره[42]، هذا بالإضافة إلى اعتقاده بأن هناك تأثيرات تأتي من اندماج الأشخاص والأمم؛ فالأمم لا تعيش في كهوف مظلمة، ولا في غرف مغلقة؛ وليس أدل على ذلك من شخصية عميد الأدب العربي الدكتور/ طه حسين تلك الشخصية التي جمعت بين البعد المحلي والعالمي — إن صح التعبير — إذ استطاع أن يجمع في ثنايا ثقافته، وأعماق شخصيته ما بين ثقافة الغرب والشرق، وما بين علوم الشرق وآدابه، وعلوم الغرب وآدابه؛ فصار محليًا وعالميًا في آن واحد؛ كما أننا إذا نظرنا إلى الأب قنواتي نفسه لوجدنا أنه يمثل نموذجًا حيًا لما نادى به وأكد عليه؛ فلقد كان رجل الحوار بين الشرق والغرب؛ فهو المصري الشرقي المسيحي الذي استوعب مناهج البحث العلمي، والفكر الحديث من الغرب، ثم طبقها في مجال الدراسات العربية والإسلامية؛ مما يدل على أن الثقافة والحضارة والعلوم والفنون على مختلف أشكالها وألوانها ليست في حوزة شعب دون شعب، ولا هي حبيسة جنس دون آخر، أو دين دون آخر، بل إنها جميعها تضرب — بجذورها — في عمق التاريخ البشري، وتمتد — بأطرافها — إلى كل أقطار الأرض، بحيث نكون مدينين — جميعا — لحضارة إنسانية عامة ومشتركة بيننا جميعا، بلا انتساب لقومية أو انتماء لوطنية؛ فالحضارة الإنسانية — كلها — عند الأب قنواتي تمثل وحدة واحدة تستكمل بعضها بعضًا عبر التاريخ؛ ومن ثم يجب أن تكون نظرتنا لهذه الحضارة من هذا المنطلق على أساس أنها حضارة إنسانية؛ لا شرقية ولا غربية؛ لا إسلامية ولا مسيحية؛ فهي تراث إنساني بغض النظر عن كونه مسيحي أو إسلامي، شرقي أو غربي.[43]

---

42. الأب جوزيبي سكاتولين: «رجل الحوار بين الشرق والغرب، وبين العقل والإيمان»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص١٥١.

43. الأب جورج قنواتي ، مجلة رسالة الكنيسة، مقالة تحت عنوان: «التداخل الحضاري»، العدد2 ، ص58، القاهرة، 1995، ونقلاً عن كتاب مشوار العمر ، ص 38، 39.

إلى الحضارة الإيطالية ولكن في مجال آخر، وهو مجال اللغة؛ إذ يجد الفاحص والمتأمل للغة الإيطالية أن هناك العديد من المفردات اللغوية ذات الأصل العربي وخاصة المتعلقة بمسألة التبادل التجاري، وأيضًا في مجال الطب والفلك والعلوم والفنون، وإن كان بدرجة أقل مما كان سائدًا في صقلية[40]، وهذا كله له دلالة على أن الفكر البشري يمثل نسيجًا متكاملاً ومتضافرًا — يشارك فيه أصحاب كل دين من الأديان، وكل مذهب من المذاهب متعديًا حدود الأركان، ومتخطيًا حدود الزمان والمكان، بحثاً عن الخالد الأزلي، الدائم الثابت؛ بحيث يكون من الممكن إرساء قواعد الفكر الحر المستنير، الفكر الإنساني العالمي، بعيدًا عن اختلاف التوجهات، وتباين النزعات، وتفرق الجنسيات[41]؛ وبالتالي فلا يكون هناك مجال للتفاخر القبلي أو التنافر القومي؛ بل يكون هناك سعيًا جادًا للارتفاع بالإنسان إلى كامل إنسانيته — بكل القيم التي اكتشفها عند أشهر مفكري الشرق والغرب — بغض النظر عن ديانته أو قوميته، معبرًا عن إيمانه العميق بالإنسان كإنسان؛ وبكل قيمه الإنسانية، اقتداءًا بقول الكاتب الروماني القديم ترنسيوس «لأنني إنسان؛ فيهمني كل ما يهم الإنسان»؛ ولذا كان يصف الأب قنواتي العلاقات بين الشرق والغرب بأنها علاقات ذات حوار حضاري متصل وممتد عبر مختلف العصور والأزمنة؛ فتارة يأخذ الغرب من الشرق؛ وتارة يأخذ الشرق من الغرب، مبينا — كما سبق أن ذكرنا — أنه إذا كانت الحضارة المسيحية قد ساهمت بقدر كبير من تشكيل الحضارة العربية والإسلامية — في مهدها الأول، فإن هذه الحضارة قد استفادت — بدورها — من الحضارات القديمة ومن الحضارة اليونانية، وكذا الرومانية، ثم بعد ذلك قامت الحضارة العربية والإسلامية بإحياء نهضة الحضارة الغربية وساهمت في ازدهارها مرة أخرى،

---

40. *Ibid.*, p. 170, 171, 172.

41. د. عاطف العراقي: ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة (القسم الأول) ، القضايا والمشكلات من منظور الثورة النقدية ، دار الوفاء ، ط١ ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 212.

جنسياتهم، مما يكشف عن فكرة التأثير والتأثر، أي تأثر اللاحق بالسابق، مما يدعم قواعد التواصل والحوار، لا العزلة والانقطاع؛ فإذا نظرنا — على حد تعبيره — إلى حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي نجد أنها قامت على أكتاف مجموعة من المترجمين كان أغلبهم من النصارى، ومن بينهم حنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين، وقسطا بن لوقا، وابن زرعه، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي مبينًا كيف أن الخلفاء قد شجعوا هؤلاء المترجمين ماديًا ومعنويًا، خاصة بعد إنشاء بيت الحكمة[38]، بحيث يمكن القول بأن سر ازدهار الحضارة العربية في بغداد — في مرحلة العصور الوسطى — إنما يعود بشكل مباشر إلى حركة الترجمة النشطة للتراث اليوناني القديم [39]،كما أن تأثير العرب على منطقة البحر الأبيض المتوسط، وخصوصًا صقلية وإيطاليا يعد أمرًا لا جدال عليه على مدار قرنين من الزمان؛ إذ كانت هذه الفترة تموج بكل ألوان النشاط والحيوية من قبل السكان الصقليين والبيزنطيين،كما حدث دمج في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وتلاقت الأبعاد الروحية، بعيدًا عن نظام التقوقع، ورفضًا لنمط الانعزال الذي يعيش فيه الفرد الواحد، ويستبعد باقي الأفراد والشعوب، كما لا نستطيع — بحال من الأحوال — أن ننكر دور العرب على هذه البلاد في مجال العلوم الدينية والأدبية؛ إذ تتضح آثار البصمة العربية — إن صح التعبير — في أوضح صورها في مجال الفنون الشهيرة، وبخاصة الفن المعماري؛ فإذا نظرنا إلى الكنائس — بسقوفها المعمارية — لوجدنا أنها شيدت من خلال فنانين مسلمين، كما كان للعرب أياديهم البيضاء، ودورهم الجاد في مجال الزراعة والري وتحسين المحاصيل الزراعية، والدليل على ذلك ما نجده في آثارهم ومفردات لغتهم وأنظمة حياتهم التي اهتم بها الصقليين، هذا بالإضافة إلى توارث العادات والطبائع النفسية الفردية والجماعية من قبل العرب على الشعب الصقلي، كما يمكن القول بأن التأثير العربي قد امتد أيضًا

38. د٥ عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، ص 504.

39. G. C. ANAWATI, «La Rencontre des deux Cultures», 170.

أقول لك إن هذا الكلام لا يمكن العمل به الآن، وقد مارسوا هذه العقوبة قديمًا لأنه لم تكن هناك سجون يوضح فيها الناس، المسيحيون والمسلمون يقبلون هذا الأمر، ويعلمون بأن هذا ليس تجديدًا في العقيدة أو استحداث فيها؛ ولكنه تجديد واستحداث في تطبيق قوانين الحياة المدنية، وقواعد العدالة الوضعية التي تختلف باختلاف الزمان والمكان.[36]

ومن الواضح هنا أن الأب قنواتي يشير إلى أن مسألة تطبيق العقوبات والأحكام صارت مرهونة بأوقاتنا وأوضاعنا الحالية، ومن ثم فقد صار لكل عصر قوانينه، وبالتالي عقوباته، وصار لكل بلد قوانينها، وبالتالي عقوباتها، وهذا لا يمس الشريعة في شيء.

ثالثاً: الحوار الحضاري أو «الحوار بين الحضارات»: —

ويقصد به حوار الفكر والثقافة والفلسفة والآداب والعلوم والفنون ما بين اللاحقين والسابقين عليهم، وبيان مدى تأثر اللاحق بالسابق، مبيناً أن الحضارة تمثل نسيجًا واحدًا ممتزجًا ومتماجزًا، لا متمزقاً أو مترهلاً، ومؤكدا التلاحم والتضافر دون التباعد والتنافر؛ بحيث تستطيع كل حضارة أن تتعايش مع غيرها من الحضارات الأخرى دون تعصب أو نفور؛ فلقد كانت من المفاهيم الأساسية والمقولات الشهيرة عند الأب قنواتي أنه «لا دين بلا حضارة، ولا حضارة بلا دين» مبيناً أن الإسلام لم يقتصر في بناء حضارته على أبنائه فحسب؛ ولكنه أحتضن جهود كل من عاش على أرضه، وفي رحابه أيًا كانت ملتهم، ومهما كانت عقيدتهم[37]، وليس أدل على تأكيد هذه الفكرة من تركيزه على بيان أن حركة الترجمة التي تمثل أحد المقومات الأساسية للحضارة العربية قامت كنتاج لأفراد البشرية والجماعات الإنسانية، بغض النظر عن اختلاف دياناتهم، أو تباين

---

36. الأب جورج قنواتي: «الحوار الأخير»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر ، ص 185.
37. د .زينب الخضري: كلمات في رثاء الأب جورج قنواتي، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص 126.

الله والمخلوق على صورته ومثاله تعالى، والمتحقق في الشخص المسيحي والمسلم على السواء؛ فيكون الحوار — بناء على ذلك — ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة، أو بالأحرى أفضل وسيلة لتقريب وجهات النظر بين المؤمنين على أفضل وجه.[34] ومن الملاحظ أن الأب قنواتي في هذا المستوى من الحوار يركز على إبراز نقاط الاتفاق بين المسيحيين والمسلمين، متخذًا من هذه النقاط وسيلة لدعم عرى التواصل والمواكبة ما بين المسيحيين والمسلمين.

ثانيًا: الحوار المدني أو «الحوار بين الأفراد»: —

ويقصد به الحوار بين الأشخاص على المستوى المدني أو الحياتي حيث أثبتت الخبرة أن الحوار يتم بصور مختلفة، وأنه لا يقتصر فقط على الحقل العقائدي — إن صح التعبير — رغم أهميته القصوى للتوصل إلى فهم عميق ولغة مشتركة، ولكنه يمتد ليشمل مجال العلاقات الاجتماعية، والمحكات اليومية بين الأفراد والجماعات؛ إذ من المعروف أن الحوار لا يقوم إلا بين أشخاص وجماعات، لا بين مذاهب وديانات، حتى عندما يكون الحوار بين عقائد واختيارات؛ فإن هذا يتم من خلال أشخاص وجماعات يعتنقونها أو يعيشونها؛ غير أنه لا تكفي المعرفة السطحية للآخر لإقامة الحوار الحقيقي حتى وإن اكتملت بالمشاركة في اللغة والثقافة وفهم التراث الديني الذي ينتمي إليه كل منهم؛ فالحوار يقتضي تلاقي الأشخاص،وتواصلهم بحيث يتفاهموا، ويتعايشوا ويتقاسموا ويخاطروا ويقبل بعضهم بعضًا[35].

ولكن كيف السبيل إلى تحقيق ذلك؟! وهنا يجيب الأب قنواتي فيقول: «أنت عندك حقوق، وأنا عندي حقوق»؛ فإذا قلت لي الدين يقول بقطع يد السارق،

---

34. الأب كريستيان ڤان نيسبن: «قدسية الإنسان عند الأب جورج شحاته قنواتي الدومنيكاني»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر ، ص 133.

35. موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين ، ص 48، 49.

الأرض، ومن القواسم المشتركة أيضًا بين المسلمين والمسيحيين إيمانهم بأن الله تعالى يخدم ويطاع قبل كل شيء،وأنه — بلا جدال — سيد النظام في المجتمع، وأنه أساس العدل الذي يجب أن يسود وأساس الحياة الأخلاقية التي يجب أن يلتزم المواطنون والدول والعالم أجمع بها،يقول الإنجيل في الوصية الثانية «أحب قريبك كنفسك» (متى 22: 39)، ويقول النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[32] صدق رسول الله ﷺ ، كما أن المسيحية والإسلام لا يقبلا النظم الشمولية التي تمحي الهوية وتذوب كيان الشخص فيها.[33]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا كيف بَّين الأب قنواتي أن هناك وجوهًا من التطور الإنساني المشترك، ومن مواطن التلاقي الروحي المحتوم لإقامة جسور الحوار بين المسلمين والمسيحيين؛ ذلك الحوار الذي إذا أردنا أن يكون مفعلا، وحقيقيًا؛ فلابد أن نتصدى — على نحو جدي — لمواطن التقارب الممكن من القيم الروحية، دون الاقتصار على القيم المادية وحدها؛ فالقيم الروحية ترتبط بها مسيرة المؤمنين الروحية، وهي التي يكتشف فيها المسيحيون والمسلمون أن بينهم أمورًا كثيرة يتقاسمونها على صعيد اختبارهم الديني؛ فإذا بلغ إيمان كلاهما مبلغه الكامل، استطاع أن يرتقيا إلى صعيد التنافس الروحي الأسمى High Spiritual Competition؛ الذي يزيد من تقاربهم، أو لا يسعه إلا أن يزيد من تقاربهم، كما أنه ليس من المحظور عليهم دينيا، أو بالأحرى في أمانتهم لدينهم — أن يبلغوا إلى رجاء مشترك؛ وذلك انطلاقاً من كل ما هو مشترك في الموقف الإيماني الواحد أمام الله الواحد منادين بإمكانية الإخاء الحق بين المتدينين المؤمنين في سبيل المسئولية الواحدة تجاه المجتمع الإنساني، وفي سبيل تشييد حضارة الإنسان المبنية على قدسية الإنسان؛ خليفة

32. حديث صحيح متفق عليه ، وخرجه السيوطي في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.
33. نفس المرجع ، ص 32.

ما يؤمن المسلمون، في أنه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.(سورة الزلزلة 99 آية 6، 7، 8)

9- الإنسان يعبد الله:- حيث يؤمن المسيحيون والمسلمون — كلٌ على حسب ملته — بأننا خاضعون لمشيئة الله وحكمته، وأننا — جميعًا — مؤمنون به وعابدون له؛ فالمسيحيون يؤكدون ويشاركهم في ذلك المسلمون بأنه لا سبيل إلى الخلاص إلا بالإيمان، والعمل الصالح، يقول القديس بولس «بغير إيمان لا يستطيع أحد أن يرضي الله»(عبرانيين 11:6)، كما تقرر كلتا الديانتين بأن أعمال الإنسان كلها يجب أن تتم في إطار منهج الله، والامتثال لشريعته تعالى، وهذا ما يتم من خلال النسكيات في الصلاة، والصيام، والقيام، وهي وإن اختلفت في أدائها وكيفيتها عند المسيحيين عنه عند المسلمين؛ فإن مقصدها واحد، وغايتها واحدة وهي التقرب إلى الله تعالى والعمل على إرضاؤه.[29]

10- الإنسان صورة الله:- الإنسان في المسيحية والإسلام مخلوق على صورة الله وخليفة له تعالى على الأرض[30]،بحيث لا يفقه الإنسان شيء إلا بنسبته إلى الله تعالى[31] ،يقول سفر التكوين: — «إن الإنسان خلق على صورة الله وعلى شبهه»(1-30)، ويقول القرآن الكريم ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (سورة السجدة 32 آية 9) وقال أيضا لملائكته عندما أراد تعمير البشرية وخلق العالم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة2 آية 30) ؛فالإنسان — بحسب العقيدة المسيحية والإسلامية — مخلوق على صورة الله، وخليفة له تعالى على

29. الأب جورج قنواتي: المسيحية والحضارة العربية ، ص 31.

30. *Ibid.*, p. 156.

31. الأب جورج قنواتي: المرجع السابق ، ص 31 ، 32.

ما يحمل نفس المعنى في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ﴾ (سورة الأنعام 6 آية 59)، وأنه أيضًا ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (سورة الجن 72 آية 26).

7- بعث الرسل:- وهذا قاسم مشترك أيضًا ما بين المسيحيين والمسلمين؛ وهو إرسال الأنبياء، وبعث الرسل؛ فالله تعالى لم يترك الإنسانية تلقى مصيرها ومآلها، بل إنه كلم البشر — إن صح التعبير — عبر التاريخ من خلال الأنبياء وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً حتى لا يكون للناس حجة بعد الرسل؛ فالمسيحيون والمسلمون — على السواء — يطلقون على سيدنا إبراهيم عليه السلام — خليل الله، ويقرون بأن موسى عليه السلام كليم الله، ويتخذون من حياتهما قدوة صالحة، وأسوة حسنة، ومثلاً أعلى في حياتهم وأوضاعهم[26]، بحيث نستطيع القول بأن المسيحيون والمسلمون يؤمنون بأن الله تعالى تحدث إلى البشر من خلال الأنبياء والرسل.[27]

8- الله يحيي الموتى ويحاسب البشر: حيث يتفق كل من المسيحيين والمسلمين في الإيمان بأن لهذه الدنيا نهاية، كما كان لها بداية، كما يؤكدون أيضًا أن الإنسان خلق في هذا العالم ليكون مصيره — في النهاية — إما إلى الجنة ونعيمها، أو إلى النار وجحيمها[28]، وأنه لن يبقى بعد فناء الدنيا إلا وجه الله الكريم؛ فالمسيحيون يؤمنون أنه في يوم الحشر تجتمع لديه تعالى كل الخلائق مميزًا بعضهم عن بعض؛ وأنه يجازيهم على حسب أعمالهم. وأن العدالة ستتحقق في هذا اليوم في أقصى صورها — لا محالة — وهذا نفس

---

26. نفس المرجع، ص 30.

27. G. C. ANAWATI, «La Rencontre des deux Cultures en Occident au Moyen-âge, Dialogue Islamo-Chrétien et activité missionnaire», *Estudios Lulianos, Maioricensis schola lullistica*, Apartado, 1989, p. 156.

28. *Ibid.*, p. 156.

المؤمن المهيمن، فهو تعالى «يرى جميع بني البشر، من مقر جلوسه، ويراقب سكان الأرض، وهو فاطر قلوبهم وعالم بأعمالهم» (مزامير، 132:13-15)، وهذا ما يتفق مع العقيدة الإسلامية في أنه تعالى ﴿كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (سورةالنساء 4 آية 86) وأنه تعالى ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (سورة الجن 72 آية 28)؛ بحيث يكون إقرار الإنسان بعجزه وخضوعه التام لإرادة الله واحترامه لأقداره تعالى قاسم مشترك ما بين الدين المسيحي والدين الإسلامي.

5- الله غفور رحيم: — حيث يؤمن المسيحيون والمسلمون بأن الله تعالى غفور رحيم، وأنه هو أرحم الراحمين؛ فقد جاء في سفر الخروج (34: 6-7) عنه تعالى: «أنه رحيم رءوف، طويل الأناة، كثير المراحم والوفاء، وأنه يحفظ الرحمة لألوف، ويغفر الذنب، والمعصية والخطيئة، ولا يتزكى أمامه الخاطئ»، بحيث لا يخاف المؤمن إذا ما اعترف بذنبه، وأقر بخطيئته وتاب وطلب من الله الغفران، وهذه المعاني لها نظيرها في العقيدة الإسلامية التي تؤمن بأن كل بني آدم خطاء، وأنه ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (سورة المعارج 70 آية 19) وأنه ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. (سورة إبراهيم 14 آية 34)[25]

6- الله حميد مجيد:- فهو تعالى الخالق الكريم والحاكم الرحيم، وهو نور السموات والأرض، وهذه معاني يؤمن بها ويرددها كل من المسلمين والمسيحين، جيلاً بعد جيل؛ وهم يؤمنون بأنه تعالى الملك القدوس الحميد المجيد، الحليم، العلي الكبير، الواسع الشهيد، كما يؤمنون بأنه تعالى عالم الغيب والشهادة، ولقد ترك يسوع لتلاميذه الوصية التي تقول: (إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك) (يوحنا 17: 3)، وقد جاء عند المسلمون

25. نفس المرجع ، ص 28، 29.

حيث يقر المسيحيون بأنهم يؤمنون بإله واحد، ضابط الكل، وخالق السموات والأرض، وهو فوق الجميع ومع الجميع وفي الجميع (أفسس 4: 5 ، 6)، ويناظر هذا قول المسلمين وشهادتهم أنه «لا إله إلا الله»، وبأنه تعالى واحد، وإذا كان كتاب المزامير يقول فيه تعالى «من مثل الرب إلهنا ساكن الأعالي» (مزمور 3، 11: 15)؛ فإنه بحسب العقيدة الإسلامية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص112 آية 4)، وإذا قال عنه سفر الرؤيا بأنه «الحي إلى دهر الدهور» (رؤيا 1: 18)؛ فقد جاء في العقيدة الإسلامية أنه تعالى ﴿الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾؛ بحيث يمكن القول بأن كلتا العقيدتين الإسلامية والمسيحية قد اتفقا على أن الله حي قيوم، ولعل المحصي لأسماء الله الحسنى في القرآن الكريم يجد أنها تكاد تكون موجودة بأكملها وبنصها في العهدين (القديم والجديد).

3- الله خالق السموات والأرض: — وهذا أيضا أمر معترف به في الديانتين المسيحية والإسلامية، يقول سفر التكوين «في البدء خلق الله السموات والأرض (سفر التكوين 1:1)، ويناظر هذا القول في العقيدة الإسلامية قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ﴾ (سورة البقرة 2 آية 117)؛ بمعنى أنه خلقها على غير مثال أو سابق تصور، كما جاء أيضًا في المزمور(103:27-30) «الجميع يرجونك لترزقهم، تحجب وجهك فيفزعون، وتقبض أرواحهم فيموتون، وترسك روحك فيخلقون»، وجاء نظيره في العقيدة الإسلامية في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (سورة الذاريات 51 آية 58)[24].

4- الله يحب البشر:- يقول الأب قنواتي «إن الله تعالى هو العليم الحكيم الذي يعرف خليقته ويحبها، وأنه تعالى اللطيف الخبير الولي

24. نفس المرجع ، ص 26، 27، 28.

مائدة حوار الكلام الجرئ الذي يعبر عن الله ، وعن الإنسان في آن واحد؛ حوار الصمت الجسور — إن صح التعبير — حيث يهمس الله في قلب كلاً منهم؛ فبالصمت يبدأ وينتهي كل حوار حقيقي هادف ومنشود؛ إذ في الصمت يستطيع الإنسان المؤمن أن يستشف مصير أخيه الأبدي[22].

ولقد حصر الأب قنواتي هذه المبادئ المشتركة بين المسلمين والمسيحيين. في عشرة نقاط يمكن عرضها على النحو التالي:-

١- الإقرار بوجود الله: — يقول الأب قنواتي: — «هناك اعتقاد ثابت وراسخ لدى المسيحيين والمسلمين في وجود إله واحد خالق السموات بما فيها والأرض بما عليها؛ وهذا أمرًا مثبتاً عندهم بالعقل ومؤكدا بالوحي؛ حيث أقام علماء الدين المسيحي والإسلامي براهين شتى على وجود الله، معتمدين — في العديد منها — على التأمل والنظر في آيات الله الكونية، ودلائله الوجودية، بحيث يمكن القول بوجود تشابه كبير بين علم التوحيد المسيحي وعلم التوحيد الإسلامي برغم الفوارق»[23]، ولعل هذا القاسم المشترك بين المسيحيين والمسلمين يمكن أن يحقق ميداناً للتبادل الخصب لهؤلاء الذين يحبذون الحوار المسيحي الإسلامي، ولعل الإقرار بوجود إله واحد حي متعال عن العالم، وقريب منه، بل هو معه، ينبثق منه عدد من الحقائق الأساسية بالنسبة للإنسان، والأسرة والمجتمع، والحياة المدنية والحضارة أياً كانت الديانة، ومهما اختلفت العقيدة.

٢- الله حي قيوم:- حيث يؤكد الأب قنواتي اعتقاد كل من المسيحيين والمسلمين في أن الله تعالى حي قيوم، وأنه يملك زمام أمور حياتنا وشئوننا، وقد امتلأت كتبهم المقدسة بالنصوص التي تشهد بذلك،

---

22. موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، منشورات المكتبة الدولية ، ط١، بيروت ، 1986 ، ص 157 ، 158.

23. الأب جورج قنواتي: المسيحية والحضارة العربية، دار الثقافة ، ط٢، القاهرة، 1992، ص26.

أكانت مسيحية أم إسلامية هذه القضية، ودعت إليها وأرست دعائمها، واستندت إلى أساليبها، وأكدتها في كل دعواتها[19].

ولقد كان للأب قنواتي جهوده المعروفة في مجال الحوار الإسلامي المسيحي؛ فهو مصري الجنسية — كما نعلم — وكانت ولادته تتحدث العربية، مما جعله يهب نفسه لخلق علاقات وطيدة بين المسلمين والمسيحيين، ويكرس حياته لخدمة هذه القضية في العالم العربي[20]، وذلك بالمشاركة — الفعالة في جمعيات الإخاء الديني، وفي إبرازه — في العديد من مواطن الالتقاء في ميادين الحياة بين أتباع هاتين الديانتين؛ فأسفرت مساهماته عن روح التسامح والوئام، وعند ثقافة الحب والاحترام[21]؛ مبيناً كيف استطاع المسيحيون أن يعيشوا — في وئام وانسجام مع إخوانهم المسلمين في إطار الحضارة الإسلامية، والعربية، وكيف أحسوا أنهم جزءًا من هذه الحضارة، وليسوا غرباء عنها، بل إنهم يعدو من العناصر الفعالة في تشييدها وإنماءها، ومبينًا أيضًا كيف كان لهم دور كبير في مساعدة إخوانهم المسلمين في حماية عقائدهم في مختلف ميادين العلوم، ومقتضيات الحضارة،هادفاً من ذلك إلى تعميق أواصر الأخوة، والصداقة، والاحترام المتبادل، والفهم المشترك بين المؤمنين مسلمين كانوا أو مسيحيين، مبينًا أن هناك مجموعة من القواسم أو المبادئ المشتركة — إن صح التعبير — بين أصحاب كلا الديانتين اعتقادًا منه بأن هذه المبادئ أشبه بالجسور التي — من غير المستحيل — إن لم يكن من قبيل الممكن القابل بشدة للتحقيق أن يتلاقى على أسوارها المسلمون والمسيحيون؛ والتي تكون أشبه بقنوات الاتصال بين أفراد المجتمع الواحد على اختلاف دياناتهم وتوجهاتهم؛ بحيث يلتقي كلاً منهما بالآخر كإخوان في ظل حوار الحياة الإنساني الفضفاض، وأن يبذل كل منهما قصار جهده في سبيل تعزيز القيم الإنسانية، وأن يلتقيا حول

---

19. د. عاطف العراقي: التنوير والمجتمع، ص158.

20. *Ibid.*, p. 159.

21. د. عاطف العراقي: التنوير والمجتمع، ص158.

المبحث الثاني: مستويات الحوار عند الأب قنواتي:

عرضنا فيما سبق — لدواعي الحوار، وطبيعته عند الأب قنواتي وتبين لنا أنه يمثل ضرورة حياتية، وإنسانية ملحة لكل طالب للتعايش السلمي والممارسة الحياتية، والآن، أود أن أشير إلى مستويات الحوار عند الأب قنواتي يقول الأب قنواتي: —

«إن للحوار ثلاثة مستويات: **الأول الحوار على مستوى العقيدة**، ونقصد به الحوار الديني أي الحوار بين الأديان، **والثاني الحوار على مستوى الحياة المدنية**، ونقصد به الحوار الحياتي أو المدني ، أي الحوار بين الأفراد في الحياة المدنية، **والثالث** الحوار على مستوى الحضارات، ونقصد به الحوار الحضاري، أو الحوار بين الحضارات» ولنا أن نتناول كل مستوى من هذه المستويات بشيء من التفصيل: —

أولاً: الحوار الديني أو «الحوار بين الأديان»:

ويقصد به حوار العقيدة، أو بالأحرى الحوار القائم بين أصحاب الديانات أو العقائد المختلفة، وتحديدًا بين المسلمين والمسيحيين، وهو يمثل — في نظر الأب قنواتي — مطلب أساس لا محالة؛ إذ في السعي إلى إقامته ضرورة لا يجهلها أحد، خصوصًا في أيامنا الحالية؛ حيث يُدعي المؤمنون إلى أن يتعاونوا، وأن يتلاقوا على جسور الحوار؛ ليستطيع كل منهم أن يبلغ غايته السامية، ويحقق هدفه المنشود[17] ، حتى يستطيعوا أن ينفتحوا على نعمة الله ، وأن يسخر كل منهم قلبه وعقله لأجل الحفاظ على متطلبات المحبة، ودواعي التواصل، وأواصر الالتقاء، وتوثيق عرى الاتفاق، وتبني قضية الحوار[18] على اعتبار أنها أمر معترف به في كلتا الديانتين؛ إذ تبنت العديد من المؤسسات الدينية — سواء

17. البابا يوحنا بولس الثاني: موقف الكنيسة تجاه أصحاب الديانات الأخرى، تأملات وتوجيهات حول الحوار والدعوة، فقرة من الخطاب الذي ألقاه أمام الجمعية العمومية لأمانة سر غير المسيحيين يوم السبت الموافق 1984/3/3، عيد العنصرة، 1984، ص4.

18. Christian W. TROLL, «The Late Fr. Georges C. Anawati's concept of Christian-Muslim Relations», *Le Père Dominicain*, (1905-1994), Parcours d'une vie, p. 161.

صار سيد عصره، وثوراته الانقلابية المتلاحقة جعلت غده مختلف — تمام الاختلاف — عن حاضره، وأمسه؛ بحيث صار من المستحيل أن نواجه اليوم بثقافة الأمس، ولا أن نواجه الغد بثقافة اليوم؛ فالثقافات امتزاج واحتواء[15] ؛ ومن ثم فليس لنا إلا التلاقي ثم التلاقي، والسعي الجاد لتحقيق سبل الحوار، وتمهيد الطريق للسير فيه. هذا عن دواعي الحوار وأهميته عند الأب قنواتي.

ولكن ما طبيعة هذا الحوار عند الأب قنواتي؟!

إنه الحوار ذات الطبيعة المرنة الرحبة، الهادفة والمنشودة، التي تسعى إلى احترام الرأي والرأي الآخر دون احترام الرأي، والمصادرة على الآخر، ومن ثم فلم يقصد الأب قنواتي بالحوار الحوار الثابت الجامد، غير القابل للتطور أو التغير، كما لم يكن من الداعين إلى مجرد التمسك العقيم بالماضي والتشبث الشديد به دون انتقاءه والسعي إلى تعديله، ولكنه كان يعتقد أن الفكر البشري في حركة دائمة؛ حركة ذات حياة — إن صح التعبير — وبالتالي فهي حركة نامية؛ لأن الحياة إذا لم تنم تموت؛ فكان يريد الفكر المنفتح على الآخر، المتصل بالواقع التاريخي، المتفاعل مع الأحداث الجارية، المواكب لكل ما هو جديد؛ المساير لمتطلبات الحداثة، وقضايا العصر، بعيدًا عن الجمود والانغلاقية، وانطلاقًا نحو التواصل والانفتاحية[16].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا كيف استطاع الأب متى أن يركز على أهمية الحوار ودواعيه ، مؤكدًا ضرورة الانفتاح على الآخر أيًا كان سواء أكان فردًا أم جماعة، فكرًا أم حضارة، بلا خشية ولا رهبة ، آخذين منه رادين، مستفيدين منه ومفيدين، ملتزمين — في هذا كله — بالطبيعة المرنة الرحبة للحوار ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

---

15. مجلة الإذاعة والتليفزيون ، عدد 4 يناير ، القاهرة ، 1992 ، وانظر أيضًا مقالة تحت عنوان: «جورج قنواتي وحوار الأديان» ، والكل نقلاً عن كتاب مشوار العمر، ص 36.

16. الأب جوزيبي سكاتولين: «رجل الحوار بين الشرق والغرب، وبين العقل والإيمان»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص151.

لتحقيق التواصل بين كلا العصرين والحضارتين، فالحضارة الإنسانية لا تنمو ولا تزدهر إلا من خلال التفاعل بين الحضارات، والحوار المتبادل بينهما، وذلك لأنها حضارة متعددة ومتنوعة؛ ولعل تعددها يمثل ضرورة، لأنه يزيد منها عمقاً وثراءً لا محالة»؛ ولذا كان يدعو الأب قنواتي إلى كل إنسان بأن يرى لدى الآخر خير ما فيه، وأن يقدم للآخر خير ما عنده[13].

ومن هنا كان يعتقد الأب قنواتي أن ما يسمى بالغزو الفكري والثقافي يمثل أسطورة كبيرة، ويعد تصورًا لا أساس له من الصحة؛ إذ لا خوف على ثقافتنا العربية وهويتنا الشخصية من الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى، لأننا لسنا صغارًا ولا أطفالا معدومي التمييز — على حد تعبيره —؛ فنحن بفضل عقائدنا الراسخة وثوابتنا الدائمة وتراثنا الهائل الذي توارثناه عبر العصور والأزمنة؛ وبفضل توالي الثقافات وتتابعها علينا نكون قادرين — تمامًا — على التمييز بين الصالح والفاسد؛ فالإنسان القوي يستطيع هضم وتمثيل كل أنواع الطعام، ونحن لسنا مجرد آلات ميكانيكية؛ فنحن نجرب وننتقي ونختار، وبالتالي نقبل ونرفض، ونأخذ ونرد، بكامل إرادتنا، وكافة حريتنا؛ وإذا كانت الحكمة المأثورة تقول «أخشى رجل كتاب واحد»؛ فإنني أناظرها فأقول «أخشى رجل ثقافة واحدة»[14].

بحيث يمكن القول بأن الدعوة إلى محاربة الغزو الثقافي — في رأي الأب قنواتي — تعد دعوة باطلة، وناتجة عن مركبات النقص، والخوف، والتقوقع، والانعزل دون التلاقي والانفتاح؛ فجميع من أسهموا في إنماء الثقافة العربية اكتسبوا إتقانهم للعمل الفني والإبداع والخلق الأدبي — على نحو ما يرى الأب قنواتي — من خلال دراستهم للثقافات الأخرى، ومن هنا كان تأكيده على ضرورة ألا نلتفت لهؤلاء أصحاب التقوقع ومحبي الانكماشية؛ فالعزلة في نظره مستحيلة، والتقوقع في رأيه مرفوض، لأن المنظومة العالمية في تقارب، والعلم

---

13. جريدة الوفد ، عدد بتاريخ 21 سبتمبر ، 1989 ، ونقلاً عن كتاب مشوار العمر، ص 34.
14. نفس المرجع ، ص 35.

بعيدًا عن روح التعصب والجمود وانطلاقاً إلى براح المرونة، وسعة الانفتاح[٩] ، ويقول مؤكدا نفس المعنى:- «إننا لم نعد في العصر الذي يفرض التعددية الثقافية التي يمكن أن تكون ذات ثمار طيبة، وإنما علينا أن نحقق التعاون والأخوة بين المسيحيين والمسلمين، حتى يتحقق التفاهم المتسع والاحترام المتبادل، بعيدًا عن هذا التيار الرجعي المتعصب، والجارف في العالم العربي عامة والإسلامي خاصة؛ هذا التيار الذي يتلبس بشعارات دينية براقة، لكنه يرفض — في داخله — تقدم الفكر الإنساني الحضاري؛ فيكاد يهوى بالإنسانية إلى هاوية العصبية، ويكاد يضربها في أصولها الحضارية التي عاشت عليها منذ بدايتها».[١٠]

ثم يستطرد فيقول: «ولكن كيف تحاور من لا تعرفه؟! وكيف يحاورك من لا يعرفك؟!» وكأن في ذلك تنبيهًا — من جانبه — على أن تعثر الحوار قد يأتي من عدم اكتمال المعرفة، والوعي بالذات، وبالآخر، وكلاهما وجهان لعملة واحدة، أو متلازمان يوجد أحدهما بوجود الآخر بشكل آلي ومحتوم[١١]، ذلك أن الانطلاقة الأولى لأي استجابة تبدأ من فهم الذات وفهم الآخر؛ فالبداية تكون من حيث نبدأ نتعرف على واقعنا كما هو بالفعل ، دون خجل أو رهبة، دون تهوين أو تهويل، ثم نتعرف على الآخر، ونفهمه دون خشية أو استهانة، حتى تستقيم أسس الحوار، وتتحقق ثماره المرجوه، ومن هنا كان إقبال الأب قنواتي على دراسة الفلسفة الإسلامية، وإطالة الوقوف على مذاهب ابن سينا، وابن رشد، وابن طفيل، وابن باجة، وغيرهم، ثم دراسته لتوما الأكويني، وبيان مدى تأثره بهم، مما جعله يؤكد — لا محالة — على أن هناك تعانقاً، أو تمازجًا في مجالات العلم، ومحطات الفكر[١٢]؛ فكان يقول ويكرر دائمًا: «إنه لابد من امتزاج وتمازج، لابد من تأثير وتأثر، لابد من قواسم مشتركة، ومبادئ عامة

---

٩. د. عاطف العراقي: التنوير والمجتمع ، دار المعارف ، ط١، القاهرة، 2008 ، ص 158.

١٠. الأب جورج قنواتي:»الحوار الأخير»، مقالة في كتاب مشوار العمر، ص177.

١١. د. محمود عزب: «قنواتي والحضارة العربية الإسلامية»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص 143.

١٢. نفس المرجع ، ص 145.

المبحث الأول: دواعي الحوار وطبيعته عند الأب قنواتي: —

مما لاشك فيه أن الأب قنواتي يعد واحدًا من أهم المفكرين الذين تناولوا قضية الحوار بقدر كبير من الاهتمام والتقدير؛ إذ استطاع أن يتبنى هذه القضية، وأن يوليها اهتمامًا كبيرًا في العديد من مقالاته، والكثير من كتاباته؛ فكان يدعو إلى الحوار، ويعرف قواعده وأساليبه بما يجعله واقفا على أرض صلبة، واعيا بذاته وبالآخر؛ ومقدرًا لكل حق حقه؛ ولكل مذهب قدره؛ولكل معتقد تبريره؛ فتبنى هذه القضية، ونادى بها، وعاش لها، وسعى إلى تحقيقها وتعميقها بين أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة، سعيا إلى إيجاد سبل التلاقي المنشود والتعايش السلمي المحلي والعالمي (بين الشرق والغرب)، بين المسيحية والإسلامية، بين القديم والجديد؛ فعاش لأجل الحوار، وفي سبيله داخل مصر وخارجها؛ فصار واحدًا من أبرز من أرسوا قواعد هذا الحوار، وأثروه ، وساندوه حتى آخر نسمة حياة تنفسها، متخذاً من المغامرة الجريئة — التي ميزته عن غيره — ومما لديه من حكمة بالغة، بصيرة نافذة، ومن تلبيته لنداء الرب في ضميره، ووفاءً بالوعد القائم على التبشير بكلمة الله — سبيلا لتحقيق سبل هذا الحوار.

دواعي الحوار عند الأب قنواتي: —

نستطيع القول بأن الأب قنواتي يعد أحد رواد الحوار المسيحي الإسلامي.[7]

ولكننا نتساءل: — «لِمَ الحوار عند الأب قنواتي»؟، أو بالأحرى لماذا الحوار؟! ومع من؟! وكيف يكون؟!

وهنا يجيب الأب قنواتي فيقول: — (إن الدافع الأول لدراستي للفلسفة الإسلامية هو البحث عن أرضية للحوار!!!)[8] وذلك بدافع القضاء على التعصب الزميم، والابتعاد عن كل ما يتعلق بالفتنة الطائفية سواء من قريب أو من بعيد،

---

7. Jacques JOMIER: *Le Pére Georges Chehata Anawati*, Dominicain, (1905-1994), Parcours d'une vie, G.C, par une société de professeurs et de savants, sous la Direction de Régis Morelon, Institut Dominicain d'Études Oientales, Arab Press Center 1996, p. 161.

8. د. محمود عزب: «قنواتي والحضارة العربية الإسلامية»، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر، ص 144.

حصل على الدكتوراه من جامعة مونتريال، وذلك في عام ١٩٥٠، ثم انتهت رحلاته العلمية بالعودة إلى مصر مرة أخرى، ليستأنف فيها قضيته التي آثرها وهي «الحوار المسيحي الإسلامي»؛ فانتهى به الأمر إلى دير الدومنيكان بالقاهرة؛ وظل به حتى وافته المنية،[4] وذلك بعد رحلة دينية وعلمية وأدبية، فكرية وثقافية، تبدأ يوميا من السادسة صباحًا وتنتهي تقريبا الثانية بعد منتصف الليل؛ رحلة قاربت الستين عاما، بعد حياة أوشكت على التسعين عاما؛ حياة كان فيها بدرًا للاتفاق في زمن الافتراق؛ وذلك في الثامنة من صباح يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٩٩٤ م، في حجرته — أو بالأحرى — في صومعته الفكرية بدير الآباء الدومنيكان بالقاهرة ، وكانت وصيته الأخيرة والشهيرة: — (احرص على التزود بالمعرفة صباح مساء كل يوم؛ لأنه لا دين بدون ثقافة، ولا ثقافة بدون دين).[5]

مؤلفاته:

أثرى الأب قنواتي مكتبتنا العربية وغير العربية — وبخاصة الفرنسية على وجه التحديد — بالعديد من المؤلفات والدراسات الخاصة؛ فجاءت مجهوداته الفكرية والثقافية في غاية من الدقة والمنهجية، كما نشرت كثير من مقالاته العلمية في كبرى المجلات وأشهر دوائر المعارف العالمية؛ إذ كان له مئات المقالات والدراسات وعشرات الكتب المؤلفة والمترجمة والمحققة، وغيرها من مئات الدراسات الأكاديمية الدقيقة غاية الدقة، بحيث لا يمكن لأي باحث في الفلسفة أو اللاهوت أو العلم أن يستغنى عنها سواء من قريب أو من بعيد.[6]

---

4. مشوار العمر، ص 27، 28.
5. الأب جورج قنواتي ، مجلة رسالة الكنيسة، العدد45 ،القاهرة، 1995 ، ونقلاً عن كتاب مشوار العمر ، ص 85.
6. د. عاطف العراقي: البحث عن المعقول في الثقافة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2004، ص242.

واستعد لممارسة الأعمال الرهبانية في دير أميان Amiens، وتهيأ لهذا الطريق في إقليم الدومنيكان بباريس عام ١٩٣٥ م، ويذكر أنه وهو في فرنسا سأله رئيس الآباء: لماذا دخلت الدير؟! فأجاب بما معناه: «لأجل الحوار المسيحي الإسلامي»، ثم أضاف يجب أن يكون هناك حوار، والطريف أن هذا كان في عام ١٩٣٥، أي منذ أكثر من نصف قرن، وهذا يدل على أن فكرة «الحوار» كانت في ذهن الأب قنواتي، ونصب عينه منذ زمن بعيد.

ومنذ ذلك الحين، وبعد أن اعتنق الأب قنواتي هذا الاتجاه، اتجه إلى دراسة الفلسفة في دير للدراسات في سولشواردوكان Saulchoir de Cain في بلجيكا منذ عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٣٧ م، ثم درس علم اللاهوت وحصل فيه على الدكتوراه عام١٩٤١ من جامعة الدومنيكان Université des Dominicains ، ورحل بعد ذلك إلى الجزائر في أكتوبر عام ١٩٤١م ، وظل بها حتى أغسطس ١٩٤٤؛ فكانت تلك الفترة فترة مثمرة وهامة في حياته، وبخاصة في رسم الخطة المستقبلية لمشوار عمره، ولقد سعى الأب قنواتي لأجل الحصول على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية، وتم له ذاك بالفعل، كما شارك في العديد من الأنشطة، حيث عهد إليه بتحرير مجلة أفريقيا الدومنيكانية L'Afrique domi-nicaine ، وكانت تصدر كل شهرين آنذاك،ولم تنقطع علاقة الأب قنواتي بالجزائر؛فكان يذهب إليها بين الحين والآخر لمقابلة مفتي الجزائر الكبير، وأيضا رئيس المدرسة العليا بجامعة القرويين، وبمجموعة من الشبان المسلمين الباحثين والمفكرين، كما قام برحلات عديدة أيضا إلى تونس والمغرب، وظل هكذا حتى عام ١٩٤٤ م. حيث عينه الأستاذ شارل كوينتز Charles Kuentz (١٨٩٥-١٩٧٩) مدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة مندوبًا عن مصر للمعهد بالجزائر، مما أتاح له الفرصة للحصول على درجة وظيفية يعمل من خلالها لمدة ثلاثة أسابيع في المغرب، ثم عاد إلى القاهرة، وذلك قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد في أغسطس عام ١٩٤٤ م، ولشغف الأب قنواتي بالدراسة والعلم — وعلى وجه الخصوص بالفلسفة — سافر من جديد إلى كندا حيث

يقول الأب قنواتي في الحوار الأخير الذي أجري معه، والذي ذكره في كتاب مشوار العمر: — «ولدت بالإسكندرية، الميناء الجميلة، عروس البحر الأبيض المتوسط، في السادس من يونيو عام ١٩٠٥ م، من عائلة مسيحية، أرثوذكسية عريقة، وكان والدي موظفا بإدارة الميناء — التابعة للحكومة المصرية — في الإسكندرية، وكان يلقب بشحاته بك قنواتي، كان رجلا مثقفا يجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية، أدخلني — كما فعل مع أخوتي جميعا — أشهر مدارس اللغات بالإسكندرية، وهي مدرسة الفرير؛ فأحببت الفرنسية وكنت مولعًا بها، وظللت بالمدرسة حتى حصلت على شهادة البكالوريا الفرنسي عام ١٩٢١ م، وكان عمري آنذاك لا يتجاوز السادسة عشر، وكنت من المتفوقين والحمد لله، ثم التحقت بعد ذلك بكلية الصيدلة في جامعة القديس يوسف اليسوعية ببيروت،ودرست بها لمدة أربع سنوات حتى حصلت على بكالوريوس الصيدلة، وذلك في عام ١٩٢٦ م، ثم أكملت مسيرتي في جامعة ليون بفرنسا Université de Lyon وحصلت منها على دبلومه الهندسة الكيميائية في عام ١٩٢٨م، ثم عدت إلى الإسكندرية، وظللت أعمل في معمل للتحاليل الكيميائية لمدة ست سنوات مع إخوتي الاثنين الأطباء وذلك ما بين عام (١٩٢٨-١٩٣٤).[3]

تفاصيل حياته حتى وفاته:-

بدأ الأب قنواتي يرسم مسار حياته، واستقر على الدخول في الرهبنة، بعد أن التقى بالأستاذ يوسف كرم، وأبدى له رغبة شديدة في أن يتخصص في دراسة الفلسفة؛ فكلم له أحد الآباء الدومينكان في القاهرة، والذي قام بمراسلة عائلته وجعلها تقتنع برهبنة ابنهم الصغير، وانضمامه للكنيسة الكاثوليكية؛ فتقبلت عائلته الأمر بعد مناقشات عديدة؛ وبالفعل التحق برهبنة الدومنيكان في باريس، وارتدى الزي الرهباني في 4 من شهر مايو عام ١٩٣٤، بدير كوبلوقي Coublevie ،

3. الأب جورج شحاتة قنواتي: «الأب قنواتي يتحدث عن نفسه، مقالة ضمن كتاب مشوار العمر»، إعداد مجموعة من الآباء والأساتذة، إشراف الأب عيسى مورلون وهاني لبيب، معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان، دار نوبار،ط ١،القاهرة، ١٩٩٨، ص١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.

أما المبحث الثالث فعنوانه «مستقبل الحوار في تصور الأب قنواتي» وسوف أعرض فيه لاقتراحات الأب قنواتي وجهوده لأجل تحقيق مزيد من التقدم الإنساني والارتقاء بسبل الحوار وتدعيمها بين أصحاب المذاهب والثقافات المختلفة.

وأما الخاتمة فقد دونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وقد أعقبتها بقائمة ضمنتها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث.

والله الموفق للسداد.

مدخل: حياة الأب قنواتي ومؤلفاته: —

أ- حياته (تمهيد): —

يحتل الأب الدكتور چورچ شحاتة قنواتي مكانة كبيرة في فكرنا المعاصر، فهو يمثل أحد المعالم الثقافية في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين. فكان الرائد والمعلم الذي لا يكل ولا يمل، والذي اهتم بدراسة العديد من القضايا الحياتية، والمشكلات الفكرية، وخاض في مجالات علمية وإنسانية، بحيث لا يستطيع أحد من مؤرخي الثقافة في مصر أن يغفل أو يتغافل عن دوره البارز والكبير في إثراء فكرنا العربي المعاصر.[1]

ويمكن القول بأن المهتم بموضوع مقارنة الأديان من جهة، وتاريخ العلوم من جهة أخرى، لا يمكنه أن يتخطى من قريب أو من بعيد كتابات هذا العالم الكبير، تلك التي تكشف عن ثراء شخصيته، وعمق نظرته، وسعة اطلاعه.[2]

ميلاده ونشأته:

---

١. – د/ عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، قضايا ومذاهب وشخصيات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط١، إسكندرية، 2004، ص502.

2. نفس المرجع ، ص 502 .

ولقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج التحليلي، ويرجع سبب اختياري لهذا المنهج دون غيره من المناهج الأخرى إلى ما تتطلبه طبيعة هذا الموضوع من عرض وتحليل لقضية الحوار عند الأب قنواتي، وبيان أبعادها ومحاورها المختلفة ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

أما فرضيات هذا البحث فتكمن في الإجابة على التساؤلات الآتية:-

- لماذا تبنى الأب قنواتي فكرة الحوار أو بالأحرى، ما دواعي الحوار عند الأب قنواتي، وهل كان يمثل مطلبًا كماليًا عنده أم كان يمثل مطلبًا حيويًا وضروريًا ؟!
- ما طبيعة الحوار عند الأب قنواتي؟ وكيف يكون؟ ومع من؟!
- هل للحوار مستويات عند الأب قنواتي ؟! وإذا كان فما هي؟!
- ما هي رؤية الأب قنواتي المستقبلية لفكرة الحوار؟ وما هي اقتراحاته لأجل تدعيم هذه الفكرة وتوثيق عراها؟

ويتألف هذا البحث عن مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة من المصادر والمراجع.

أما **المقدمة** فقد تناولت فيها بالدراسة التعريف بالبحث وأهميته والمنهج المستخدم فيه، كما عرضت فيها للتساؤلات الموجهة للدراسة.

أما المدخل فعنوانه «حياة الأب جورج قنواتي ومؤلفاته»، وقد عرضت فيه نبذة مختصرة عن حياة الأب قنواتي وأهم مؤلفاته.

أما المبحث الأول فعنوانه «دواعي الحوار وطبيعته عند الأب قنواتي» وسوف أعرض فيه أسباب تبني الأب قنواتي لهذه القضية، وذلك لبيان أهمية الحوار في هذا العصر الذي نعيش فيه، كما سأعرض لطبيعة هذا الحوار في تصور الأب قنواتي.

أما المبحث الثاني فعنوانه «مستويات الحوار عند الأب قنواتي» وسوف أتناول فيه بالدراسة درجات أو مستويات الحوار التي عرض لها الأب قنواتي وهي ثلاثة: (الحوار الديني وأعني به الحوار بين الأديان — الحوار الحضاري وأعني به الحوار بين الحضارات — الحوار المدني وأعنى به الحوار الأفراد).

الإنساني — كل ذلك يجعل من الالتزام بأسلوب الحوار — في العلاقات المتبادلة — أمرًا ملحًا اليوم أكثر بكثير منه بالأمس.

ومن هنا ولما كان الأمر كذلك فإنني ومن منطلق هذه الفكرة والتي أحسها لازمة قبل الإشارة إلى موضوع هذا البحث؛ إذ سيتبين أهميتها بعد قليل — أقدم عن دراسة هذه القضية أعني «قضية الحوار عند الأب جورج قنواتي» (١٩٠٥-١٩٩٤ م)، الذي يعد أحد أعلام الفكر المسيحي المصري المستنير في القرن العشرين محاولة سبر أغوار هذه القضية عنده ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

ويرجع سبب اختياري لهذه القضية دون غيرها من القضايا الأخرى التي تناولها الأب قنواتي بالدراسة والتحليل إلى إدراكي لما يأن به العالم اليوم من تعددية حزبية متجددة في الأيديولوجيات والثقافات والأديان، حيث تحاول تيارات عديدة — من المرجعية الظلامية — أن تخمد تقدم الفكر الواعي المستنير وتطفئ شعلته مما يجعل لزامًا علينا أن نتعلم العفو وبذل الجهد لتفهم وجهات نظر الآخرين، ومس قلوبهم واحترام آرائهم، وعدم المصادرة عليها، سعيا إلى تلاقي محتمل وتعايش هانئ، حتى وإن تباينت الديانات واختلفت التوجهات، محاولين بيان ما في التنوع والاختلاف من ثراء وإيجابية أكثر من التوحد والاتفاق، وإن كان هذا الأمر ليس باليسير؛ فالحوار طريق ذات آلام طويلة وعثرات كثيرة، في ظل ظروف انعدام التوافق ومحو اللغة المشتركة؛ وكثرة التحديات والصعوبات في عالمنا المعاصر، هذا بالإضافة إلى أن هذه القضية أعني قضية «الحوار» تمثل ركنا ركيناً وبعدًا أساسيًا وهدفاً محوريًا في فكر الأب قنواتي وفي فلسفته كلها، أضيف إلى ذلك اعتقادي بأن ما كتب عن الأب قنواتي لا يتناسب من قريب أو من بعيد مع حجم شخصيته وضخامة إنتاجه العلمي والثقافي مما لا يليق بمكانة هذا الرجل؛ فكان هذا دافعًا لي للبحث فيه والوقوف على شخصيته سعيًا متواضعًا من جانبي لإلقاء الضوء على هذه الشخصية ذات المكانة العلمية والأدبية السامية.

الشخصية عندما يمارس الحوار، كما يستشعر — في نفس الوقت — إمكانية التغلب عليها والخروج منها إذا ما استعان بغيره؛ إذ في المراجعة المتبادلة والحوار المفتوح والمناقشة الأخوية الهادفة تتضح مواهب كل فرد؛ فيتحقق مزيد من النضج الفكري الذي يولد التفاهم، وتبادل الرؤى والأفكار؛ كما أن في تطارح الآراء تتضح ديناميات الحوار؛ فتكتشف الأخطاء، وتتسع فرص التلاقي بين الأفراد، وتتضح مرام للأنظار لم تكن — في بادئ الأمر — في الحسبان؛ فيتحقق بذلك الإثراء.

ولقد كان الحوار في بداياته الأولى حوارًا صلبًا غير لين ولا هين، يرتكز — بشكل مباشر — على النواحي العقائدية واللاهوتية والفقهية، ولذلك كان يستعمله من لا يؤمن به؛ فكان يفتتح بالشكوى من انعدام الحوار، ويختتم بتكفير المحاورين وإباحة دمائهم!!، ولكن مع مرور الوقت ومن خلال المبادرات التي تبنتها مؤسسات دولية بدأ قبول دعاوى الحوار، وإن كانت بدرجات متفاوتة، ثم سرعان ما تغير ذلك الوضع مع بداية القرن التاسع عشر وذلك تحت ضغط المتغيرات الدولية والمصالح العالمية الاقتصادية والاجتماعية حيث أصبحت أطراف الحوار ذات طابع مدني يتجاوز الدين إلى الثقافة غير مستبعد الدين؛ بل ناهل منه ومستلهم من قيمه؛ فصار قائمًا حول ما هو نسبي مشترك، وليس حول ما هو مطلق متعال؛ فأصبح الحوار من أجل الحوار لا السجال.

ولكن أي حوار نقصد؟؟!!

إنه الحوار ذو الدلالات الهادفة، القائم على العلاقة المباشرة ما بين الأفراد، والتي تعكس — بلا شك — تفاعلاً ما سواء أكان بالسلب أم بالإيجاب؛ فالتفاعل قائم في كل الأحوال لأنه الحوار الهادف المقصود المنشود ، الذي يتخذ من اللغة المشتركة سبيلا له، ومن نقاط الالتقاء أساسًا له، ومن الهدف المشترك منبعاً له، ومن المقصد الشريف مبعثًا وغاية له؛ إذ التغيرات الاجتماعية والثقافية المتلاحقة — وما تسببه من تواترات ومهاترات وما يصاحبها من تبعات في مختلف قطاعات التعايش والتفاعل

قضية الحوار عند الأب چورچ قنواتي

إعداد

د. نادية عبد الغني البرماوي

مدرس الفلسفة كلية الآداب – جامعة المنوفية

مقدِّمة

تكاد تكون كلمة «حوارDialogue» اليوم — مع تطور القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان — أن تجد المعنى الكفاحي الذي كان متضمناً في كلمات أخرى فيما مضى مثل: النضال اليومي، والثورة المسلحة والمقاومة المستمرة ضد السجال واللامعقول في العالم، وتترجم الدعوة إليه، والحث عليه إلى رفض التعسف والحيف وضيق الأفق؛ ولذا فهو يستلزم احترام الآخر مع حسن قبوله، والاعتراف بمكانته، والوعي بشخصيته بكل ما تحمله من قيم ومبادئ وتوجهات، وذلك لأجل تحقيق متطلبات الحياة الإنسانية والعلاقات الشخصية، وعدم مخالفة تعاليم الأديان السماوية والضرورات الاجتماعية؛ فكل منا بحكم دعوته الإنسانية ونزعته الدينية يعيش الحوار، ويتعايش معه في إطار حياته اليومية، في بيئته الأسرية أو الاجتماعية، في مجال الحياة السياسية أو الاقتصادية أو التربوية، كما تؤكد العلوم الإنسانية والدراسات السيكولوجية أن الإنسان يستشعر حدوده